بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني: غنى النقل بالأدلة العقلية.

المبحث الأول: دلالة القرآن على اشتمال النقل على الأدلة العقلية.

دلت الكثير من الآيات القرآنية على الأدلة العقلية إما في منطوقه أو مفهومها أو لازم معناها كما يلي:

١-التصريح بأن الله أرسل الرسل بالبينات[1] والهدى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الحديد:٢٥]. وأنزل معه القرآن هدى للناس ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النحل:٦٤].الهدى: تعريف الخلق على الحق وإرشادهم إليه ولا يكون إلا بالأدلة الدالة على ذلك، وأولى الأشياء بالبيان (دلائل الإيمان) فإذا كان دقائق الأحكام وردت في القرآن كيف يقصر عن بيان ماهو أهم (فكل ماكان الناس إليه أحوج كانت دلائل معرفته أكثر)

٢- التصريح بوجود براهين في نصوص الوحي: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [سورة الأنبياء:٢٤]. قال ابن الوزير: هذه الآية دالة على أن كتب الله لا تخلو من البراهين المحتاج إليها في أمر الدين. وكذلك أخبر الله أن الكفار لا يأتون بقياس عقلي لباطلهم إلا جاء في القرآن بما هو أحسن تفسيرا وكشفا وإيضاحا:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٣٣].

وكذلك تَعَدُّدْ ذكر الأمثال كما سيأتي بيانه ضمن مسالك الاستدلال العقلي.

٣-وجوب تبليغ الرسالة وبيان الدين: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ولا يتم البلاغ إلا إذا كان مقرونا بأدلته اليقينية المغنية عما سواها فيكون البلاغ للدلائل كالبلاغ للمسائل .

ويشير ابن تيمية إلى أنه لا يجوز أن يقال عن(المسائل والدلائل التي تعد من أصول الدين) أن النبيﷺ لم يقل فيها كلام.

والقول بهذا لايخلوا من أمرين:

(١) والبينات كما تقدم في الفصل الأول معناها: جمع بينة وهي الآية الواضحة.

الأول: أن الرسول ﷺ لم يبلغ أهم أمور الدين(أصوله).

الثاني: أنها بينها ولكن الأمة لم تنقلها.

وكلا الأمرين باطل، وهو من أعظم مطاعن المنافقين وقائله لا يخلو من ثلاث أحوال:

الأول: أن يكون جاهلا بما جاء به النبي فيترتب عليه جهله بأصول الدين.

الثاني: أن يكون جاهلا بما يعقله الناس بقلوبهم، فيدخل في الحقائق المعقوله ما يظنه من العقليات.

الثالث: أن يكون جاهلا بالأمرين؛ فيُدخِل في أصول الدين ماليس منها، ويظن عدم بيان النبي ﷺ لما ينبغي اعتقاده.

والرسول أعلم الخلق بأمور الدين مسائل ودلائل ، وارغبهم واقدرهم في تعليمها وبيانها وبهذه الثلاثة(العلم والقدرة والإرادة) يتم المقصود، وغير الرسول لايخلو من نقص في علمه أو ارادته أو قدرته فيكون بيانه ناقصاً

وكما قال أبو الحسن الأشعري: لو احتجنا إلى مايقوله أهل الكلام من طرق الاستدلال لما كان الرسول ﷺ مبلغاً.

لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز بحال، والتوحيد مما تزال الحاجة إليه ماسة فتأخير بيانه تكليف للناس بما لاسبيل لهم إليه.

فكان بيانه أظهر من أن يحتاج إلى طرق الكلام واستدلالهم وقد قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ)وهنا تطابق بين الدلالة القرآنية، والبرهان المشاهد، بحيث يتصادق موجب الشرع المنقول مع النظر المعقول.

المبحث الثاني: شهادة العلماء بغنى النقل بالدلائل العقلية

وذلك عن طريق (استقراء نصوص الكتاب والسنة، والنظر في دلالتها العقلية)

وقد شهد كل من له نظر في الكتاب والسنة من العلماء حتى من كان منهم مخالفا لمنهج السلف ولهذه الشهادة اعتبار في الميزان الشرعي؛ يقول الباري: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وكذلك شهادة واعتراف المخالف لها وزنها ونبه عليها القرآن: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ

ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾.وقد قال أهل الكلام:

إن غاية مايصلون إليه من البحوث العقلية قد جاء القرآن بخلاصته وأربى عليه.

فأبو الحسن الأشعري؛ يوصي بطريق القرآن في الاستدلال على العقائد، وأنه المنهج الأمثل والأكمل.

وذكر **أبو حامد الغزالي** سبب ظهور البدع بعد الصحابة؛ ذلك أن الصحابة في محاجة اليهود والنصارى يعتمدون على أدلة القرآن ، وما تعسفوا باستخدام المقاييس العقلية وترتيب المقدمات ... الخ فهي مثار التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن لا يقنعه إلا السيف والسنان.

ثم يقول: ينبغي أن يعرف الناس جلال الله وعظمته بقوله الصادق المعجز، لا بقول المتكلمين في الأعراض والحوادث.

ويذكر البرهان العقلي الكلي على ترجيح طريقة السلف، وأنه يقوم على أربعة فصول:

الأول: النبيﷺ أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد وأرغبهم في بيانه وأقدرهم على ذلك وليس في ذلك مجال للتجربة و لا العقل.

الثاني: أنه ﷺ ماكتم شيء مما أوحي إليه، وهذا معلوم بالضرورة.

الثالث: الصحابة أعرف الناس لمعاني كلامه ﷺ لملازمته له ومعاصرتهم للتنزيل.

الرابع: علم بالضرورة أن الصحابة لم يدعوا الخلق بطريقة الخلف، بل زجروا عنها فدلّ على أنها ليست من الدين.

ويقول **الرازي** في كتابه الأربعين:" أقر الكل أنه لا يمكن أن يزاد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن"

ويقول **أبو المعالي الجويني**:

(أما ما اعترضوا به من قولهم: إن الاستدلال بالقرآن على الدهرية ونفاة الصانع فباطل من وجوه أقربها شيئان:

الأول: أن شيخنا (ابا الحسن الأشعري) لم يستدل بالآية وإنما بمعناها؛ وهي تنطوي على وجه الحجاج ويوضح ذلك أن الله احتج بما ذكره على الكفرة والمنكرين. فذكر أبو الحسن الأشعري ليقيم الاحتجاج على حسب ما أراده الله. فما ذكروه قدح في احتجاج الله على الكفرة.

الثاني: أن أبا الحسن الأشعري لو يرد بذكر الآية احتجاجا إنما ليقرب الأمر على منكري الكلام من الحشوية فأوضح أن في كل أصل من الأصول الذي تركوه من الحجاج مذكور في كتاب الله، منصوص عليه وكرمنا من تقدير التفسير للكتاب والشرح له

وتعقيب على كلام الجويني: أن الوجه الأول: حق لا شك فيه ، وأما الثاني: فيحتاج أن يثبت مراد شيخه أول ، وثانيا: ليس هناك فضيلة وإن ثبت ومعناه أنه يذكر الآيات اعتضادا لا اعتمادا مادام أن ما تضمنته من دلالة عقلية معلوم لدى العقل استقلالا.

وقد رجع الجويني في آخر حياته إلى مذهب التفويض (ارجاع معاني آيات الصفات إلى الله) وفيه ألف العقيدة النظامية ظانا أن التفويض مذهب السلف.

......

ومن أقوال العلماء الذين هم على منهج السلف:

يقول شارح الطحاوية: "غاية مايذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية"

قال السيوطي: إن البرهان والدلائل العقلية في القرآن وردت على عادات العرب وليس طرق المتكلمين لأمرين:

الأول: قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم "

الثاني: من يميل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بجليل الكلام.

ويردد **ابن الوزير** بيت من الشعر:

أصول ديني كتاب الله لا العرضُ .. وليس لي في أصول غيره غرض.

ثم يبين مراده من هذا البيت معنيين:

الأول: القرآن معجز، وكل معجز لا يقدر عليه البشر فإنه يعلم بدليل العقل أنه من الله.

الثاني: النظر في ما أمر الله أو حثنا أن ننظر فيه من الأدلة ، ومن استقبح الاكتفاء بهذه الأدلة وجب على جميع المسلمين النكير عليه.

ويقول **ابن تيمية**: أن الأدلة السمعية والعقلية كل منهما يستلزم الآخر؛ فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا، والدليل السمعي فيه الأداة العقلية التي يعرف بها توحيد الله وصفاته وصدق أنبيائه.......... **وورد في الكتاب أقوال أخرى بنفس المعنى لم اذكرها**.